مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:02 (جويلية 2023) ص 425– 438
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

بريطانيا وتداعيات تفعيل سياسة البانتوستان كإجراء عنصري في جنوب إفريقيا 1913–1994م

Britain and the Repercussions of Activating the Bantustan policy in South Africa1913 -1994

فاطمة مباركي [1]، الدكتورة: يسمينة سعودي [2]
Mebarki Fatima[1], Saoudi Yasmina[2]
1 جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، fatima.mebarki@univ-alger2.dz
2 جامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، Saoudiyasmina248@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/09/16	تاريخ القبول: 2023/04/10	تاريخ النشر: 2023/07/13

الملخص: نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تحديد الملامح العامة لمشروع البانتوستان، الذي يعد من أهم المشاريع التي لعبت بريطانيا من خلاله دورا بارزا في خدمة مصالحها،وبناء قواعد سياسة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا للسيطرة على الإفريقي، ومنع الملكية و تحويل السود إلى عبيد أجراء، و الإستيلاء الكامل على خيرات وممتلكات البلاد، والفصل الكلي للمجتمع الإفريقي عن الأوربي، إجتماعيا وسياسيا إقتصاديا و ثقافيا، فهو مفهوم جغرافي يتضمن جعل السود يقطنون أماكن بعيدة عن البيض في حيز جغرافي منفصل، يهدف لتجميد المستوى الحضاري للأفارقة، مع شل كل قوى التحرر، وتقسيم الأجناس جغرافيا دون إرادتها، لتقنين العلاقات بين السود والبيض، وحجتها في ذلك أنها تريد أن تحتفظ لكل من وحدات البانتو القبلية بأرضها التي ترتبط بها تاريخيا وجغرافيا .
الكلمات المفتاحية: البانتوستان، الفصل العنصري، المشاريع البريطانية، جنوب إفريقيا، المعازل.

Abstract: The Purpose of this study is to explore the general characteristics of the Bantustan
Project; one of Britain's most important projects serving its interests and constructing a policy of indigenization code in South Africa aiming to :dominate Africans, prohibit property rights, change Blacks into paid slaves, totally dominate the country's resources as well as separate the African society from the European one socially, politically, economically and culturally. It is a geographical areas, in order to limit the civilizational level of Africans and to paralyze any attempt at liberation, as well as to categorize them geographically without taking a stand. All this, to codify the relations between Blacks and Whites while the project's major argument is wanting to save the Bantu tribes's patrimony in their lands that link them to their history and geography.
Keywords: Bantustan, Code of Indigenity (Apartheid), British projects, South Africa, Isolationism

المؤلف المرسل: فاطمة مباركي ، **الإيميل**: fatima.mebarki@univ-alger2.dz

1.مقدمة :

إن المتتبع لشؤون القارة الإفريقية وتاريخها، يلاحظ أنها كانت محل تكالب وتنافس القوى الاستعمارية فيما بينها منذ أمد طويل، وكانت جنوب إفريقية قد حظيت بنصيبها من هذا التكالب من خلال التنافس البرتغالي والهولندي والإنجليزي، والذي انفرد في نهاية المطاف بالسيطرة على المنطقة بداية من القرن 19م، فسعى الاستعمار الإنجليزي. للمحافظة على مستعمرة جنوب إفريقيا، بتسخير جميع الوسائل المتاحة لذلك، بتطبيق جملة من الإجراءات، والقوانين المؤدية لذلك.

تبنت بريطانيا عدة نظم مختلفة، بتنمية الموارد عن طريق المستوطنين البيض، وتطبيق نظام ينظر للأفارقة على أنهم الأدوات الرئيسة للتنمية ، كمساعدين في العملية، أو مجرد عمال يدويين لدى البيض، الذين انتزعوا منهم أراضيهم، والسماح للأفارقة بحد أدنى من المبادرة الإقتصادية والسياسية وفقا لمعايير معينة، فيما يعرف بسياسة البانتوستان، التي تعتمد أساسا على مبدأ "فرق تسد"، بفصل المجموعات العرقية والإثنية، على أساس اللون في حيز جغرافي معين، تحدده السلطات البريطانية وفق مصالحها ، للحفاظ على الجنس الأبيض، وضمان امتيازاته السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية ، فما هي سياسة البانتوستان؟ وكيف طبقتها بريطانيا في جنوب إفريقيا، وما مدى تأثيرها في البنية الاجتماعية الاقتصادية الجنوب إفريقية؟

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على سياسة من سياسات الاستعمار البريطاني، في جنوب افريقيا والتي طبقها بداية من1913م، بإصدار أولى التشريعات في مجال الأراضي، أو ما سمي بقانون ملكية الأراضي إلى غاية 1994 م، تاريخ إلغاء سياسة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، رغبة في بسط نفوذه على المنطقة، دون مراعاة واقع ومعيشة الإفريقيين.

2. مفهوم البانتوستان:

هو كلمة تتكون من مقطعين، فالأول البانتوBantu: وهم أفراد وقبائل البانتو، أكبر القبائل الإفريقية وأكثرها انتشارا، والمقطع الثاني ستان Stan بمعنى بلاد، ولعل هذه الكلمة فارسية الأصل، وبذلك يكون المعنى اللفظي لكلمة بانتوستان، هو بلاد البانتو، وثمة نظرية قديمة تقول بإيجاد أرض أو موطن أو منطقة خاصة يتجمع فيها كل أبناء البانتو، وهي نظرية توحي في مظهرها بأنها تخدم البانتو، ولكنها في حقيقتها نظرية استعمارية، لا تختلف في شيء عن النظرية التي تستند إليها الحكومات الاستعمارية، في إنشاء معازل للأفارقة بالبلاد الإفريقية، ولقد تقوضت هذه النظرية بطبيعة الحال على ضوء التقسيمات السياسة، التي انتهت إليها القارة الإفريقية.(جاك، جذور الثورة الإفريقية، 1969 م، صفحة 603)

وقد أطلق سيسيل رودس، و هو جون سيسيل رودس سياسي بريطاني(1853،1902 م)، أصيب بمرض الصدر فأشير إليه بالذهاب إلى جنوب إفريقيا للاستشفاء، قسم وقته في التحصيل من أكسفورد والعمل في كمبرلي، للبحث عن الذهب،عين رئيسا للوزراء، وهو من أصحاب الفكر الإستعماري، والناطقين باللإنجلزية أسياد العالم (القوي، 2015 م؛ القوي، مشروع سيسيل رودس الإستعماري ، و أثره على الهوية الإفريقية من الكيب ألى القاهرة 1871–1924 م .، 2015 م)، على التمييز العنصري اسم الإدارة الاستعمارية، عندما قال في أواخر القرن19م، "... أنّه يجب أن نعامل الإفريقي كطفل، وأن نحرمه من حق الانتخاب، وأن نتخذ له نظاما استبداديا"، والفصل العنصري ما هو إلا: النمو المنفصل للأجناس، أو التطور المستقل للأجناس، جنوب إفريقية.

طبقت بريطانيا بداية من سنة 1948م، سياسة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، معتمدة على عدد كبير من التشريعات العنصرية لتطبيقها،ومجموعة من القوانين، أهمها قانون البانتوستان سنة 1959م، والذي يقضي بعزل الإفريقيين البانتو، في مناطق خاصة، ومنحهم الحق بتولي حكم أنفسهم، ضمن هذه المناطق على أساس الاستقلال المحلي، ومعنى ذلك من الناحية العملية أن الأغلبية الساحقة من السكان صاحبة البلاد ، ينبغي أن تعيش وتمارس حقوق السيادة في 13٪ من هذه مساحة ، مع أنها تشكل 69٪ من مجموع السكان بينما تمارس الأقلية البيضاء البالغة 18٪ من السكان سيطرتها وحقوقها في 87٪ من مساحة القطر".(نعيم، 1975 م، الصفحات 42–45)

أصدرت الحكومة البريطانية قانون لاند أكتland actأي قانون ملكية الأرض، أو عقد الملكية، حيث يستغل فيه البيض 87% من الأراضي الزراعية في جنوب إفريقيا، بينما يبقى 13% من المساحة الإجمالية للأفارقة،وهذه المساحة الضيقة لا تكفيهم لممارسة نشاطاتهم اليومية. (حمدان، 1996م، صفحة 289) ذلك أن الاغتصاب والنهب الصريح للأراضي الإفريقية (نقل الملكية)، هو التعبير المهذب في الدوائر الرسمية وهو السبب الرئيسي لعوز الإفريقيين وفقرهم.(Brij–, p. 79)

3.سياسة البانتوستان:

1.3 المعازل: Les réserves:

يقول سيسيل رودس(سوزان، 2015م، الصفحات 49–51.)"... إن الرجل الإفريقي المولود من والدين عاريين، متوحشين، لا يمكن أن يشترك في حكم البلاد، مع الرجل الأوروبي الأبيض، فالإفريقي يجب أن يعيش حياته الخاصة بعيدا عن الأوروبي الأبيض..."

فهذه المقولة لرودس وإن دلت على الفكر العنصري والنزعة الاستعمارية، بل الاستبدادية تجاه الأفارقة دليل في حد ذاته على مبادئ، وأسرار السياسة الاستعمارية البريطانية في جنوب إفريقيا. (كوامي، 1966م، صفحة 148.) حدد للأفارقة 13٪ فقط من مساحة الأراضي وهم 4 أمثال عدد البيض ولا تكفيهم غلة هذه المساحة الضيقة.(محمد و أحمد، 1966م، الصفحات 72-74.) ذلك أن الإنتزاع،أو السلب الصريح للأراضي الإفريقية (نقل الملكية)، هو الإجراء الرسمي للحكومة البريطانية،في تنفيذ سياستها الإستعمارية،والذي أثر سلبا في أداء الأفارقة وتخلفهم، باستخدام كل الوسائل و الطرق المؤدية لذلك، لهذا تمكن ممثلو الدول الغربية انتزاع 89 ٪ من أراضي الإفريقيين، واحتجازها لأنفسهم(حسن و إبراهيم، جنوب إفريقيا موطن التفرقة العنصرية، 1966م، صفحة 76.)، وهذا القانون صدر في 1913م، وأطلق عليه اسم لاندأكتLand Act، أين يستغل البيض معظم الأراضي الزراعية الجنوب إفريقية.(BUJRA, 1977, p. 71.)

وأصبح الأفارقة يعاملون معاملة المواطنين من الدرجة الثانية، ولا يتمتعون بحقوق سياسية أو اجتماعية، ولعل هذه كانت بداية التفرقة والفصل العنصريين.(الله، 1422هـ/2002م، الصفحات 121-130.)

وبداية من 1948م، اتخذت سياسة الفصل العنصري رسميا في جنوب إفريقيا، والتي ترتكز على تسيير الأقلية للأغلبية ، مع تغييب جميع الحقوق الأساسية للشعب الإفريقي، وحرمانه من جميع التدخلات في السلطة، وتقسيم المجتمع على أساس عرقي.(Mohabe, 1990, p. 46.)

4.دور البانتوستان في تثبيت سياسة الفصل العنصري:

تقوم سياسة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا، بتصنيف سكان جنوب إفريقية إلى أجناس، وفصلهم جغرافيا ، وتحديد أماكن السكن والإقامة بينهم، والتصنيف يقسم السكان إلى بيض ،وهم السادة المنحدرين من أصول أوروبية، وباقي الأفارقة، وملونين وأسيويين تحت سيطرة الأقلية-البيضاء.(الكيالي، صفحة 15.) ولعقيدة الفصل العنصري (**Apartheid**)، بعدٌ يهدف إلى التنمية المنفصلة، والصادر منذ 1913م، وكان ذلك بإقرار التشريع تلو الآخر، بقصد فصل البيض عن غير البيض، وتخصيص جانب بسيط من الإقليم كمعازل للوطنيين، والتي يطلق عليها البانتوستانات (بلاد البانتو) وفي بعض الأحيان ديار البانتو (**The Bantu Homelands**)، أو دول البانتو**The Bentu States**.(وير س.، 1406هـ/1986 م، صفحة 250.)

فالبانتوستانات لا تحتوي على أي موارد رئيسية تذكر وهي سياسة من أبشع سياسات الفصل العنصري، وهي صورة للفصل الاجتماعي **Social Segregation** بإبعاد كل عنصر عن الآخر، وأن يحدد مكان إقامة خاصة للعنصر المضطهد، ولا يسمح له بإقامة ومزاولة أنشطته إلا في المناطق المحددة لإقامته،والتي تعرف بالمعازل

أو **Reserves**. (سوزان، 2015م، صفحة 147.)

اقتصرت حياة الأفارقة في بانتوستات، ومع سنة 1948م وضع الحزب الحاكم السياسة التي بنى عليها الحكم بتسطير برنامج فصل المجموعات الإثنية، وتوطين كل منها في أرضها الخاصة بها.(أحمد ح.، 1966م، الصفحات 79–80.)

5.أبعاد البانتوستان :

كان لسياسة البانتوستان أبعاد كثيرة على الشعب الإفريقي، حيث كان عنوانها الاضطهاد والعنف، وخاصة بعد أن شرعت قوانين كنوع من الحماية، ولجعل المعارضة في صمت.(Amnety.I, juin 1992, p. 43.)حيث كانت البانتوستانات التي لا تحتوي على مرافق ولا على موارد رئيسية تذكر، بينما في مناطق البيض التي تحكم حكما مطلقا وفرت لها جميع مستلزمات الحياة من المرافق الرئيسية في البلاد التي يحتاجها البيض.(مسعود، أفريل 1994م ، صفحة 226.)

رسمت خريطة الاستعمار الإنجليزي مشروع البانتوستان بأنه لا يجمع الإفريقيين في كتلة واحدة، بل يمزقهم عمدًا ليدب فيهم روح التفرقة من ناحية ، ويحصر تلك الجزر في الهوامش الأفقر من الدولة، سواءً ساحلية مطيرة، أو داخلية جافة، ويرسم المجموع هلالا أسودا من ناحية أخرى ، والملاحظ أن سياسة البانتوستان ليست إلا تضخيما لصورة الفصل السكني داخل المدن بين الأجناس، في أحياء مختلفة، والاثنان ليسا إلا مظهرين على مستويات مساحية متفاوتة من سياسة المعازل القديمة، يهدف به الاستعمار إلى تجميد المستوى الحضاري والتخلف، عن التطور، وشل قوى التحرر(جمال، 1996م، الصفحات 290–291.)

فجوهر سياسة البانتوستان مبنية على "فرق تسد"، والتي تستهدف دعم تفوق البيض، وبعث وتنشيط منافسات عهد المفيكان، وهي حروب التقدم أو التغيرات الإجتماعية الجغرافية، التي عرفتها جنوب إفريقيا بقيادة تشاكا زعيم الزولو، والتي كانت عواقبها اختفاء العديد من المجتمعات الإفريقية خلال القرن 19 م،وانصهارها في المملكة،وكانت تلك التقسيمات كفيلة بتغيير التركيبة الإثنية الجنوب إفريقية.

(Bosio, 1983, p. 206.) ، من خلال عكس عوامل الوحدة التي تنهض عليها حركة عموم إفريقيا**PAC**،وهو حزب سياسي **Pan African congres**انشق عن حزب المؤتمر الوطني الإفريقي**ANC**: **African natioal congres**،تأسس سنة 1958م، و من مبادئه: العمل المسلح للتخلص من السيطرة الإستعمارية،و إنشاء مجتمع أصيل في مبادئه،اشتراكي في اتجاهه، و ديمقراطي في مضمونه وشكله والتي منها: التعليم والزواج والنمو الحضري والقومية، وينفى إلى البانتوستان أي عامل زائد عن الحاجة، وأي محرض سياسي(أ، 1998م، صفحة 286.)،

6- نتائج سياسية البانتوستان :

بتطبيق هذه السياسة يصبح جميع الأفارقة في جنوب إفريقيا مقيمين مؤقتين ،لا يحق لهم في أية حريات مدنية ، أو في حيازة أية ملكية، وتحل جميع المشكلات المقترنة بالإقامة في أرض مستأجرة.(جاك، جذور الثورة الإفريقية، 1969م ، الصفحات 538-540.).

وهذا ما دفع ببريطانيا اتخاذ سياسة البانتوستان و جعلها وسيلة لبسط نفوذها، وإحكام سيطرتها على جنوب إفريقيا، بالإضافة إلى:

- قهر و كتمان حركة التحرر الإفريقية.

-سنّ عدّة قوانين لحصر البانتو في المعازل والأماكن المخصصة لهم.

- تكريس أداة سيطرة الأقلية البيضاء على الأكثرية السوداء، خاصة أمام التفوق العددي للأفارقة.

- الهيمنة على هذه المناطق، وإبقائها على التبعية البريطانية، ومنعها من التطور الإقتصادي، ومواكبة التطور الأوربي.

- تصميمها على الإستحواذ على السلطة، والانفراد بالسيطرة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والحصول على كل المزايا.

- رغبتهم في الحفاظ على حضارتهم، وكتم أنفاس الأفارقة، وغير البيض الآخرين.

- إتخاذ برنامج يستطيع فيه كل عنصر أن يحتفظ بشخصيته، تحت إدارة بريطانيا وتوجيهاتهم.(وير ج.، تاريخ جنوب إفريقيا ، 1406 هـ /1986 م .، صفحة 236).

- التأكيد على ضرورة تفوق وهيمنة البيض، وتطبيق سياسة العزل في جميع المجالات، وإيجاد مستوطنات منفصلة للأجناس المختلفة في جنوب إفريقيا، وإعدادهم للقيام بدورهم المتدني في المجتمع دون شكوى.

- إعداد الأفارقة للعيش في مناطق منعزلة.

- تدريب الأفارقة بما يتماشى مع أعمال ومهن ذات مستوى معين، خدمة لمجتمع داخل مجتمعهم، والتقليل من الصراعات فيما بينهم.

- تعميم نظام العمالة الإفريقية، وحضر التوسع الإفريقي.(GIRAUT, 2001, p. 39)

- تنفيذ قوانين التمييز بين الأجناس، والتي تمنع السود من ارتياد جميع المرافق حتى في المواصلات وأماكن الرياضة، والمدارس والكنائس، وأن يتابع كل عنصر أسلوب حياة خاص به لفرض سور حصين للعلاقات بين الأوربيين والأفارقة، والمشاركة في تقسيم ثروات وخيرات البلاد (أحمد م.، 1957، الصفحات 11-15)

– التخطيط لفصل القبائل الإفريقية حتى ولو عاشت لأجيال متعددة.

– جميع الأفارقة جزء من البانتوستان، بدون استثناء فبغض النظر عن مكان إقامتهم، ينتهي بهم الأمر في البانتوستان.

– تم إنشاء البانتوستان، وفقا لمعايير تتوافق مع المفهوم الأوربي، المفروض بشكل تعسفي للثقافة الإفريقية التقليدية.(Rogers, 1978, pp. 28–29)

–إنشاء أوطان للبانتو، جنبا إلى جنب مع الإدارة الاستعمارية، وهي عبارة عن مناطق خاصة وتجمعات حضرية لتعداد بشري كبير.

– فهذه عملية إعادة تنظيم كاملة للأطر المرجعية المكانية،للمقاطعات الجغرافية الإفريقية لغاية 1994م.

– تشمل هذه المناطق جميع الأفارقة دون تمييز، والحرص على إسكانهم في هذه التجمعات الحضرية المعزولة.(Giraut, 2009, pp. 06–07)

لهذا لجأ فيرفورد،إلى الإستقرار في مدينة الكاب سنة 1936 م، و الالتحاق بالحزب الوطني الإفريقي،The Natioal Party ، حيث كان حريصا على تطبيق سياسة الفصل العنصري ، و لما تولى منصب الوزير الأول في جمهورية جنوب إفريقيا، في فترة ما بين(1958 –1966م)، عين لجنة للبحث في شؤون الأفارقة، و دعا لتطبيق سياسة المعازل الوطنية في جنوب إفريقيا، لذلك وصف بمهندس الأبارتايد، فقد كان مسؤولا كوزير أول بشؤون الأهالي على تطبيق التشريعات العنصرية التي التزمت بالسيطرة الدائمة للبيض، وكان موقفه من سياسة الفصل العنصري، إقامة بانتوستانات، أي مناطق إفريقية قبلية، تعين حدودها و تشرف عليها سلطات إفريقية محلية ، تعينها الحكومة البريطانية و تتولى إدارتها .)قداح, 1975م(.58 .p ,وحكومة الحزب الوطني(أ، 1998م، صفحة 289.)**NP**بالإضافة إلى تعيين لجنة سنة 1954م والتي أفضت إلى سنّ قانون الحكم الذاتي للبانتو، وأوصت تلك اللجنة بانتهاج سياسة البانتوسان ضد الأفارقة، وإنشاء شركة البانتو للاستعمار، سنة 1959م.

قسمت أراضي الأفارقة إلى أوطان للسود، ووطن لكل جماعة من الجماعات الإثنية التقليدية: الزولو، والسوتو، والهوسا، و التسوانا، و الفندا) لتتطور كل جماعة على حدة في ظل قدر من الحكم الذاتي ,Marianne, 1977) (37 .p. والتنمية المنفصلة، كانت التسمية المعادلة للفصل العنصري أو الأبارتايد، وهو عنوان حكومة جنوب إفريقيا، وبرنامجها السياسي في المنطقة بداية من سنة 1947م، وكانت الحكومة تفضل الحديث عن هذا التطور المنفصل للأجناس ، فلكل عرق حيزه الجغرافي الخاص به، ولكي يترسخ ذلك في عقول الأفارقة، وعلى أنه توجد حدود لا يجب تجاوزها إطلاقا، وكان معزل الترنسكاي أولها،وهو ذلك الإقليم الجغرافي، الذي اختارته بريطانيا ليكون

إحدى المعازل التي سكنها الأفارقة ، كونه قريب من الترنسفال، لتشغيلهم كعمال في مناجم الذهب، خاصة بعد العثور عليه في المنطقة، والحاجة الشديدة لليد العاملة فيه، لذا اعتبر هذا الإقليم أكبر احتياطي منفرد للعمالة الإفريقية (Mondela, 1965)وتليه سبعة معازل أخرى، والتي ستوضحها الخريطة فيما بعد كسزكاي Ciskai،و الكوازولو Kwazulu، و الفيندا VENDA، و الليبوا lebowa، و الجازانكولو Gazankulu،و الباسوتو كواكواBasotho Quaqua، و البوفوتاتاتسوانا Buphutatswana ، والمخصصة كلها لإقامة الأفارقة عامة في خير ورفه مع الاسرة (جودة، 2000م .، صفحة 440).

خريطة لأهم البانتوستانات (المعازل) في جنوب إفريقيا :

تعاني البانتوستانات من عدة مشاكل، منها نقص المساكن، وإعادة التكوين الإجباري، واكتظاظها بالسكان واختلاطهم مع الماشية،وانتشار البطالة والتخلف والفقر، مما يصيب بنوع من القنوط و اليأس(ووندنجي، 1935م ، صفحة 289.)،ما دفع بالشباب الأفارقة لعرض خدماتهم على الأوربيين للعمل بأجر زهيد، لكن هذا لم يمنع من ظهور قيادة قومية جديدة، تحرص على الإستقلال التام لجنوب إفريقية(أمين، 1985م ، الصفحات 67-68.)

بدأت السلطات البريطانية في الفصل بين السكان والأراضي، خاصة في المناطق الحضرية،ويعتبر الأفارقة مهاجرين فيها، ليس لهم حقوق سياسية أو اجتماعية متساوية لتلك التي للبيض، وذلك بقرار قانون لاندأكت **Lnd ACT** لعام 1913م، أو ما يعرف بقانون ملكية الأراضي، والذي أقرّ بإنشاء المعازل، كان في البداية بحجة حماية

السود لكن كان غرضه الفصل بين المجموعات البشرية وخاصة بين البيض والسود في إفريقيا الجنوبية. (joseph, 1976, p. 571.)

وفعلا بموجب قانون 1952م، نظم حق الإقامة في المناطق الأوروبية،وهو القانون الذي أجاز تطبيق مبدأ التقسيم الجغرافي عن طريق الرقابة وحضر التجول من منطقة إلى أخرى دون جواز سفر، طبق سنة 1959م **Passlaw**(Marianne, 1977, pp. 31–33.)

واعتبر جوزيف كي زيربو أن الفصل الجغرافي في حد ذاته تعريفا للفصل العنصري، إذ يقول أن: الأبارتايد مصطلح يرمز إلى سياسة التفرقة والتمييز العنصري، كما طبق في إفريقيا عموما ضد سكانها الأصليين السود، وفي جمهورية جنوب إفريقيا خصوصا، قامت هذه السياسة على التصنيف العنصري لسكان جنوب إفريقيا إلى أجناس في مقاطعات جغرافية خاصة بكل عنصر، و هذا الفصل اعتمد على تحديد أماكن السكن والإقامة لكل فرد و مجموعة .(A–R–C, 2002, p. 2.)

وكلمة أبارتايد في الأصل سياسة فصل عرقي طبقت من طرف الحزب الوطني **national party**، والذي تأسس سنة 1934 م، بتجديد الحزب الوطني الأفريكاني في جنوب إفريقية، القائم على أساس التمييز العنصري والتشدد والتنازل عن التساهل في السياسة البريطانية المتبعة في حق الأفارقة، من مبادئه: التطور المنفصل للأجناس، في جنوب إفريقيا بداية من 1948– 1991م، واعتمد في لُبّه على فصل المجموعات والسكان إلى بيض وسود.)وير ج. س.، تاريخ جنوب إفريقيا, 1406هـ،1986 م(.258 .p ,

وتبنت حكومة جنوب إفريقيا شعار "عش ودعه يعيش منفصلا عنك" **Live and let live apart**، وقد طبق هذا المبدأ على جميع أصعدة الحياة في جنوب إفريقية، تحميه القوانين والتشريعات اللازمة لذلك، تنص جميعها على فرض الفصل العنصري بين الأعراق، وتصادر كل إمكانية مقاومة لها .(Frantz, 2014., p. 97.)

بني نظام الحكم في جنوب افريقيا على سياسة الفصل العنصري ، المتمثلة في فصل السود عن الأوروبيين جغرافيا، واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، ولا يسمح لهم بالتعبير عن حضارتهم إلا تحت غطاء وسلطة الإدارة الإستعمارية البريطانية، وتقليل التواصل بين الأعراق، وتخصيص أماكن خاصة بالسود، ليسكنوها بعيدا عن البيض لقهرهم و إبعادهم عن التنافس الاقتصادي، وفسح المجال للبيض الأوروبيين في جنوب إفريقيا للسيطرة والتقدم، وهذا ما ينمي لدى السود أنهم في بلادهم دون مستوى البيض، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وحتى نفسيا، بزرع فكرة أن الإفريقي دون مستوى الأوروبي في جميع المجالات .(Brij & Sagie, p. 79.)

وتثبيت فكرة رسم حدود في خريطة جغرافية بدون فائدة، ولن تكون مجرد فكرة تقنية بسيطة، يحذف محتوى السياسات والكيانات الداخلية، في حين أن الحدود هي وصف وتعريف الحيز المكاني وعلاقات السكان مع السلطة.(أمين، 1985م ، الصفحات 58-59.)

وطبق الأبارتايد بصورة جزئية بحيث يحدد لكل عنصر مناطق خاصة للإقامة، كما قد يطبق بصورة كلية حتى يحدد لكل عنصر أنواع معينة من العمل، والتجارة والوظائف والأجور، بالإضافة إلى تحديد مناطق خاصة لكل عنصر يقيم فيها، وهو تحديد يستند إلى اعتماد الأقلية الحاكمة في تطبيقه على استخدام سلطتها السياسية والاقتصادية، متذرعة في ذلك بأن هذا الأسلوب من العزل، أو الفصل الكلي أمر ضروري لتحقيق السلام، وتقليل الصدام بين العناصر المختلفة حضاريا ولغويا ودينيا.(شوقي، 1973م، صفحة 95.)

بعد أن تركزت السلطة في أيدي الأقلية البيضاء في جنوب إفريقيا، استغلت قبضتها، وسنت قوانين مكنت المستوطنين البيض من وضع أيديهم على كل مراكز النشاط في البلاد، وزاد عددهم بشكل ملحوظ، وانتزعوا ما بقي من الأرض الصالحة أو التي يمكن استصلاحها من الأفارقة، ومارسوا سياسة الفصل العنصري بأبشع صورها، فأصبح أصحاب الأرض غرباء في بلادهم، وبحكم القانون أصبحوا يعيشون في معازل **Native Réserves**، أوفي الأماكن المخصصة للخدم **Servant Quarteras**، خلف معازل الأوروبيين التي يخدمون فيها، وأصبح دخول المدن الأوروبية جريمة يعاقب عليها بأشد العقوبات".

رأى الأوروبيون أنّ سياسة البانتوستان،أو المعازل الإفريقية تعد من إيجابيات السياسة البريطانية، حيث يعرفونها بالتنمية الحرة، أو تسيير الأفارقة بإرادة مسؤولين أو إداريين أوروبيين، ومراقبة الأماكن والمناطق التي يعيشون فيها، في مقاطعات يمكنهم تطويرها حسب شخصيتهم العرقية، والتي سيسمح لهم فيها بممارسة حقوقهم السياسية بحرية ، وكان معزل الترنسكاي أول المعازل التي حضي و نال الاستقلال سنة 1976م. (Jean, 1978, pp. 159-160.)

7.خاتمة:

ظفرت بريطانيا بجنوب إفريقيا بداية من القرن 19م، وطبقت في المنطقة نظاما إستعماريا إستيطانيا ، خدمة لمصالحها الإقتصادية والسياسية و الإجتماعية ، دون مراعاة الإحتياجات الأساسية للأفارقة ، فكانت سياسة البانتوستان أهم المشاريع التي لعبت بريطانيا من خلالها دورا بارزا في العلاقات الإستعمارية الأوربية، على حساب الأفارقة وظروفهم الإجتماعية، لضمان استمرارية وجودها وسيطرتها على المنطقة، و تنفيذا لمشروعها الإستعماري التوسعي، فالبانتوستان سياسة طبقتها بريطانيا في جنوب إفريقيا كإجراء عنصري يقوم على تخصيص بيوت للبانتو

أو الأفارقة السود للسكن والعيش فيها،بعيدا عن البيض الأوربيين، و لهذه السياسة نتائج وخيمة على الأفارقة منها :

–إيجاد وتخصيص أراضي غير صالحة للزراعة، أو أي إنتاج اقتصادي كوطن للسود، و جعلها تجمعات سكنية لهم.

–عزل البانتو عن البيض، وهي نظرية توحي بخدمة السود، لكنها في حقيقتها نظرة استعمارية تخدم مصالح بريطانيا بعد التقسيمات التي آلت إليها المنطقة.

– ضمان النمو المنفصل للأجناس، تحقيقا للنظرية القائلة: "دعه يعمل، ودعه يعيش منفصلا عنك"

–حرمان الأفارقة من آرائهم وممتلكاتهم، و أرائهم و انتمائهم و أراضيهم وجعلهم عمالا فيها،خدمة للبيض بعقود عمل وشروط استبدادية، مع حرمانهم منها في الأخير بعقود نقل الملكية العقارية .

– معاملة الأفارقة على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، ولا يتمتعون بأية حقوق سياسية أو مدنية أو اجتماعية أو ثقافية و قضائية أو تعليمية.

–تسيير الأقلية البيضاء للأكثرية السوداء.

– سعت هذه السياسة إلى تجميد المستوى الحضاري والتخلف عن التطور، وشل قوى التحرر وعوامل الوحدة ومصادرة كل إمكانية مقاومة لها.

هوامش و إحالات:

1– الحزب الوطني national party :

حزب بريطاني تأسس سنة 1934 م، بتجديد الحزب الوطني الأفريكاني في جنوب إفريقية، قائم على أساس التمييز العنصري والتشدد والتنازل عن التساهل في السياسة البريطانية المتبعة في حق الأفارقة، من مبادئه: التطور المنفصل للأجناس، في جنوب إفريقيا بداية من 1948– 1991م،

و اعتمد في لبه على فصل المجموعات و السكان إلى بيض و سود

2–حركة عموم إفريقية(Pan African congres (PAC)، وهو حزب سياسي إفريقي انشق عن حزب المؤتمر الوطني الإفريقي ANC :Africannatioal congres، تأسس سنة 1958م، و من مبادئه: العمل المسلح للتخلص من السيطرة الإستعمارية، وإنشاء مجتمع أصيل في مبادئه، اشتراكي في اتجاهه، وديمقراطي في مضمونه وشكله والتي منها: التعليم والزواج والنمو الحضري والقومي

8. قائمة المراجع:

باللغة العربية:

1-إسبر أمين. (1985م). *إفريقيا سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا* (الإصدار 1). دمشق: دار دمشق للنشر والتوزيع.

2- جديون س وير. (1986 م). *تاريخ جنوب إفريقيا*. (عبد الرحمان عبد الله الشيخ، المترجمون) الرياض، المملكة العربية السعودية: دار المريخ.

3-الجمل شوقي، عطا إبراهيم عبد الله عبد الرزاق. (1422هـ/2002م). *تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر*. الرياض: دار الزهراء.

4-جودة حسين جودة. (2000م). *قارة إفريقيا دراسة في الجغرافية الإقليمية* (الإصدار 1). مصر: دار المعرفة الجامعية.

5-جوهر حسن محمد، ومحمد إبراهيم أحمد. (1966م). *جنوب إفريقية موطن التفرقة العنصرية* (المجلد 18). مصر: دار المعارف.

6- حمدان جمال. (1996م). *إفريقيا الجديدة، دراسة في الجغرافيا السياسية*. القاهرة: مكتبة مدبولي.

7- الخوند مسعود. (أفريل 1994م). *الموسوعة التاريخية الجغرافية، معالم، وثائق، موضوعات، زعماء*. بيروت: مؤسسة هانياد.

8-سوزان عبد المحسن عبد القوي. (2015 م). *مشروع سيسيل رودس الاستعماري، وأثره على الهوية الإفريقية من الكيبالى القاهرة 1871-1924 م*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر..

9- قداح نعيم. (1975م). *التمييز العنصري وحركة التحرير في جنوب إفريقيا* (الإصدار 2). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

10-الكيالي عبد الوهاب. (بلا تاريخ). *الموسوعة السياسية* (المجلد 01). لبنان: دار الهدى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

11-محمد جوهر حسن، وأحمد محمد إبراهيم. (1966م). *جنوب إفريقيا موطن التفرقة العنصرية* (الإصدار دار المعارف). مصر، مصر: دار المعارف.

12-محمد عبد العزيز أحمد. (1957). *نهضة إفريقية* (المجلد الثاني). القاهرة: مصر.

13-المزروعي علي أ ، كووندنجي. (1998م). *تاريخ إفريقياالعام، إفريقيا منذ 1935م* (الإصدار 1). اليونسكو.

14–نكروماكوامي. (1966م). *الإستعمار الجديد أعلى مراحل الإمبريالية*. (عبد الحميد حمري، المترجمون) الإسكندرية.

15–ووديس جاك. (1969م). جذور *الثورة الإفريقية* (الإصدار ط1). (فؤاد بلبع، المترجمون) مصر: الهيئة المصرية العامة للنشر

16–الجمل شوقي. (1973م). *قصة روديسيا ،تطورها التاريخي و موقف الأمم المتحدة و منظمة الوحدة الإفريقية* (الإصدار 1، المجلد العدد2). (مجلة الدراسات الإفريقية، المحرر) القاهرة، مصر: معهد البحوث والدراسات الإفريقية.

باللغة الأجنبية:

1-Amnesty.I. (juin 1992). *Afrique Du Sud ,Enquête sur la violance 1990-1992.* Paris: International Edition Francophonie.

2-A-R-C, J. (2002). *l'Apartheid en AFRIQUE du Sud.* (éd. 1). Paris: Edition Historique.

3-Bujra.A-S , (October, 1977.)Against Apartheid Culture .*Africa devlopment*.،(04)*02*

4-Barbara Rogers .(1978) .*DivesePour Régner ,Les Bantoustans en Afrique Du Sud*.London ،Grand Bretagne ،London: International Defance et sid fund.

5-GirautFredericBenoit Antheaume.(2001) ..Les Marges AuCœur DeL'innovation Territoriale ,*Histoire Et Geographie*.

6-Bosio, G. (1983). *Atlas Des Civilations Africaines.* (f. Nathan, Éd.) Paris: Edition Paris.

7-Brij, M., & Sagie, N. (s.d.). *La Nouvelle Geographie Régionalede l'Afrique du Sud ,Poste Apartheid.* Paris: Paris.

8-Cornevin Marianne .(1977) .*L'Afrique du Sud En Sursis* .(الإصدار 1) Paris: Libririe Hachette.

9-Fanon, Frantz. (2014.). *Peau Noire Masques Blancs* (éd. 1). Bejaia, Alger: Tala Tikit.

10-Frédéric Giraut .(2009) .*Territoires and urbanisation in South Africa*.Reins ،PARIS: Paris.

11-ki. Zerbo, joseph. (1976). *Histoire de L'Afrique Noire D'Hier a Demain* (éd. 1). Paris: ed Hatier.

12-Mohabe, Nyirabou. (1990). South Africa, versus southren African Development Cordination conferance. *Africa Development, 17*(01), p. 46.

13-Mondela Nelson .(1965) .*No Easy Walk to Freedom*) .Ruth Firstlondon ، London: Heinemann.

14-Zigler,Jean. (1978). *Main Basse sur L'Afrique.* Paris , Paris 06: Edition du Seul.